



طريق رب العالمين

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم



Abul Azayem
www.abulazayem.com



دستور السالكين طريق رب العالمين

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

دستور

السالكين طريق رب العالمين

للامام العارف الرباني الجامع بين الشريعة والحقيقة
محيي علوم السادة الصوفية بتصانيفه ومجدد أسرار
السلف الصالح بتأليفه المرشد الدال على الله
وعلى رسول الله الحجة الثابت السيد

مجلد ماضى ابو العزائم

رئيس جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل
وإمام الطريقة العزمية الشاذلية
قدس الله سره ونفعنا بعلومه آمين

حقوق الطبع محفوظة للناشر

محمد ماضى ابو العزائم

شيخ الطريقة العزمية

شعار السالكين

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون)

مقدمة

الحمد لله ولى المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، الذى بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله هداة الأمة، وأصحابه الراشدين المرشدين، وبعد:

قد ثبت لنا بصريح القرآن أنه ﷺ خاتم الأنبياء فلا نبى بعده، وأن ما جاءنا به هو محبوب الله الذى لا يقبل من العبد سواه، وأن مخالفته فى عقيدة أو عبادة أو أخلاق أو معاملات بدعة مضلة ومفسدة مذلة، وأن العباد والزهاد والعلماء إذا كوشفوا بمقامات وأسرار أو بغيوب وأنوار، أو قامت حجة لهم بآيات الكون، أو ظهرت لهم معجزة تحير العقول، ولم تكن كل تلك الحقائق مؤيدة بسنته ﷺ، فهى ضلال.

وإنى أوصى إخوتى السالكين والواصلين والمتمكنين، أنهم إذا كوشفوا بمشاهد يرونها عليّة وخالفت السُنّة المحمدية، فليضربوا بها ظهر الحائط، وذلك أدباً مع رسول الله ونجاة لأنفسهم، قال ﷺ: (الحلال بين والحرام بين)، ومهما كان السالك يقظاً وتمسكاً بالسُنّة فإنه لا يبلغ من اليقظة مقام أبينا آدم ﷺ، ولا من الرعاية للأدب مع الله تعالى، ومع تمسكه وأدبه ﷺ، فقد أفسد إبليس عليه حاله، فان إبليس اللعين يا إخوتى ما ترك ولياً، بل ولا نبياً بل ولا رسولاً، إلا وهو حريص على فتنته، وإن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبيتون الليل يكون خوفاً على الإيمان أن يُسلب منهم من فتنة إبليس اللعين، وهم أصحاب من نعلمه، فكيف يطيب للسالك أن يأمن جانب الله أو يظن السوء به، فيعتقد أنه أباح له ما لم يبيحه لغيره، أو جعله قطباً يتصرف فى الكون، أو جعل له الشفاعة؟! كل تلك دسائس الشيطان للسالكين، ووساوسه للواصلين، وقيام الخناس بين يدى المتمكنين ليضل بهم التابعين، أعادنا الله من كيده.

إخوانى أيدنى الله وإياكم بروح منه، حافظوا على الميزان، والميزان هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واعلموا حق العلم أن السمك يخوض البحر، وأن الغراب يطير في الجو، وأن الكافر يتكلم في الشرق فيسمع من في الغرب، وأن أولياء الله تعالى قلوبهم منكسرة خاشعة، وأبدانهم هينة لينة خاضعة، وهمهم معلقة بالعرش، ومقصودهم الرضوان الأكبر، ومعبودهم الله تعالى، ومحبوبهم من يقربهم إلى الله تعالى ويوصلهم إليه، صغرت الدنيا في أعينهم ففارقوها أحوج ما يكونوا إليها، راغبون في الجنة لأن الله رغبهم فيها، ووعدهم أن ينضر وجوههم ويتفضل عليهم بالنظر إلى وجهه يوم القيامة، ولولا ذلك لفارقوها كما فارقوا الدنيا.

إخوانى حافظوا على ما يبقى لكم خيره يوم القيامة من أعمال القلوب والجوارح، حتى تكونوا أشبه الناس برسول الله ﷺ وبالصحابة، واحذروا مصاحبة أهل الدنيا، ومجالسة أهل البدع المضلة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام ٦٨.

الخويدم المسكين

محمد ماضى أبو العزائم



الباب الأول

في كرامة الأولياء والاعتصام بالكتاب والسنة

والمقدمات والضوابط للمريد

كرامة الأولياء

الكرامة هي تكريم الله العبد بما يقربه إليه، أو إظهار خوارق العادات على يد العبد ليهدى به غيره من غير قصد، فإذا قصد السالك أن تظهر له آية من الآيات لينال الشهرة أو ليحصل لنفسه مالاً أو جاهاً كان مضلاً، لأن الله أخذ الموثيق على الرسل أن يظهروا المعجزة ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وأخذ العهود على الأولياء أن يحفظوا الكرامة، فإذا أظهرها سبحانه ليكرم غيرهم بالهداية والتوبة فذلك فضله تعالى، وأفضل إكرام يكرم الله به أولياءه هو الاستقامة، والاستقامة عند العلماء خير من الف كرامة من الكرامات التي يدعيها المشعبدون أهل الجهالة ليوهموا الناس أنهم على تقوى من الله، والله سبحانه لا يصلح عمل المفسدين.

ومن أجل ذلك أنكر العلماء الكرامة من غير المستقيمين، ولم ينكر العلماء إكرام الله لأهل الاستقامة، كما أكرم مريم ابنة عمران بالطعام والفاكهة، وإكرام ولادة رسول الله ﷺ ليلة ميلاده بما هو معلوم، وإكرام كثير من أوليائه بالنجاة من الوحوش ومن الظلمة، وأكرم بهم ذريتهم كما في حادثة موسى عليه السلام والخضر من رفع الجدار، ولا ينكر إكرام الله لأهل الإيمان عند التجائهم إليه سبحانه أحد من المسلمين، ولكننا ننكر على أهل البدع المضلة المخالفين للكتاب والسنة، وكم أكرمنا ربنا وأغاثنا في كل أحوالنا بما لا نستحق، له الحمد والشكر.

ومن ظن أن الكرامة غير الاستقامة فليس بمؤمن على بصيرة، وكم خدع هؤلاء المشعبدون جهلاء فأضلوهم عن الصراط المستقيم، وإنى أعيد إخوتى المؤمنين من هؤلاء الضلال، وقد التبست الكرامة بأعمال هؤلاء الضلال فاعتقد فيهم أهل الجهالة اعتقاداً جعلهم يطيعونهم حتى في ترك الصلاة والصيام، وفي إباحة المحرمات، ظناً منهم أن هذا هو الدين.

ومسلم يعتقد أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء بصريح القرآن، ويقرأ الكتاب والسنة، ويأتيه شيطان ضال مضل يهدم أركان الإسلام، ويبيح ما حرمه القرآن ويبيح الأعراس ويقبل منه، لا يكون مسلماً أبداً، وكيف لا والله تعالى يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المزمّل ٢٠، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ آل عمران ٩٧، ثم يقبل منهم بعد ذلك من يدعى الإسلام محاربة للقرآن والسنة. نعوذ بالله من غضب الله ومن الكفر بعد الإيمان.

الكرامة أن يكرم الله المؤمنين بالاعتصام بالكتاب والسنة، ويعصمهم من الفتن المضلة والأهواء المذلة، وهنا أروى لكم إخواني ما ورد في كتب السنة ومن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الموجبة للاعتصام بالكتاب والسنة.

الاعتصام بالكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران ٣١، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء ٨٠، وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ المائدة ٩٢ الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران ١٠٣ الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النور ٥٦، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ النور ٦٢، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور ٢١، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام ١٥٣، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ الأنفال ٢٠ الآية، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال ١، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب ٧٠-٧١.



الأحاديث الواردة في الاعتصام بالكتاب والسنة

عن عائشة رضى الله عنها، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)

وعن جابر رضى الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)، وقال ﷺ: (أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَلَبُ دَمِ امْرِيٍّ بغيرِ حَقٍّ لِيَهْرِيْقَ دَمَهُ) رواه ابن عباس رضى الله عنهما، وقال رسول الله ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى).

الطريق إلى الله تعالى

الطريق إلى الله تعالى هو عمارة كل وقت من أوقات السالك بما اقتضاه الوقت من اللازم الشرعى، من عمل قلبى فقط، أو عمل بدنى فقط، أو عمل مزدوج منها، وبذلك ينتقل على معارج القرب فى كل لمحة ونفس، لأن الزمن هو المراحل التى ينتقل منها إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى، وإنما العمر هو المسافة التى بين العبد وربه ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ العلق ٨.

فكلما مضى من عمره نفس انتقل مرحلة إلى ربه، وفى كل نفس له كمالات يتجمل بها إذا عمر الوقت بواجبه. فإن أهمل خسر الوقت وخسر الربح فيه وطولب بواجبه، لأن تلك الصحف ترسم فيها صور الأعمال محلاة بنور القبول والثناء من الله تعالى، أو بظلمة المعصية والمقت من الله.

ولا يعد المرید سالكاً على الطريق إذا لم يحط علماً بواجب الأوقات، وبصحبة من سلك، وعرف المبدأ والمرجع، وتمكن من معرفة النفوس، وعلم أمراضها ودوائها وتكميلها، على أنى لا أحكم أن المرید معصوم من المعاصى، ولكنى أرى أنه يقع فى صغائر الأمور التى تشتبه عليه لأنها خفية، وانتفاؤها عن المرید متعذر، كما يحصل من بعض المریدين من المسارعة فى

عمل النوافل، والتساهل بالواجبات من بر أو صلة أو نجدة أو عيادة أو جهاد أو اكتساب. فقد يكون واجباً يقتضيه الوقت فيترك ذلك ويقبل على الأوراد والصيام والسهر في الصيام، فتدخل تلك المعاصي على المرید من حيث لا يعلم، وأمثال هذه كثيرة نكتفى بما تقدم من المثل، لهذا يجب على المرید صفة الكامل.

إذا تحقق هذا من أن العمر هو المسافة، لزم على كل مرید أن يعلم الحقوق الواجبة عليه لنفسه ولربه سبحانه، وللناس بحسب مراتبهم، ويعلم مواقيت تلك الحقوق وشروطها، فقد يكون الوقت يقتضى الشكر فيصرفه في الذكر، وقد يقتضى السعى على المعاش فيصرفه في الصلوات.

وإنى أحب أن أضع مقدمات للمرید وضوابط، إذا لاحظها يسهل عليه معرفة مقتضى الوقت، ويعلم الأحكام الشرعية التى تجب عليه في نفس الوقت، والله الموفق.

المقدمات والضوابط

المقدمة الأولى

* العلم بالنفس * العلم بالله * العلم بأحكامه * العلم بأيامه.

المقدمة الثانية

- ١ إخلاص النية عند العمل.
- ٢ تأدية العمل على الوجه الشرعى.
- ٣ الفرح به من حيث أنه لله وبتوفيقه.
- ٤ الشكر بعده على عنايته، وإقامة العبد مقام عامل له سبحانه.
- ٥ عدم الاعتماد على العمل.
- ٦ تحقيقه العجز عن حقوق الشكر بعد العمل.

- ٧ جعل كل الأعمال لله تعالى ولو كانت من شهواته الحيوانية، بتصريفها بحسن النية.
- ٨ مجاهدة نفسه حتى لا يجد سروراً في نفسه بالعمل أمام الناس أو في الخلوة لصحة توجهه إلى الله تعالى، فإن نشط أمام الخلق وكسل في الخلوة، جاهد نفسه ليكون حاضراً مع الله في الحالين، غائباً عن الخلق في المشهدين، كما يحصل للعامل إذا عمل عملاً نافعاً لذاته، فإن الأمر يستوى عنده في الخلوة والمجتمع.

الضوابط

- ١ تلبية قلبه فيما يدعوه إليه، إلا فيما أوقع في ريبة في عين الخلق أو شبهة عنده، فإنه يحفظ الخلق من الوقوع في محرم بشأنه، أو من الوقوع في محرم بالاقتداء به.
- ٢ غض البصر عن عورات الناس وعيوبهم ومساويهم ليستريح ويريح، إلا من أمر بمعروف أو نهى عن منكر بشروطه الشرعية.
- ٣ المسارعة عند النشاط إلى القربات بعد الفرائض.
- ٤ قهر النفس عند الكسل على عمل الواجبات في أوقاتها ولو بالتكلف.
- ٥ تسليم ما يجهل من أسرار الحكمة والقدرة للعالم الأكبر سبحانه وتعالى، حتى يفتح له باب العلم بها بدون بحث بعقل ولا تنقيب بفكر فإنه وُلد جاهلاً أولاً.
- ٦ ترك الجدل مرة واحدة فإنه باب القطيعة ومهاوى البعد، لأنه إذا ترك الظالم أو المبتدع في ضلاله، فهو خير له من أن يجادله ليرده إلى الحق، لأن الجدل بدعة مضلة ولا يأتي الخير بالشر ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الزخرف ٥٨، وقال ﷺ: (إِذَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ أُوتُوا الْجَدَلَ).
- ٧ يكون مقصوده الرضا من الله تعالى، وحسن الثناء منه سبحانه، الأمر الذي يصغر الخلق في عينه فلا يحزنه سخطهم وإدبارهم، ولا يفرحه إقبالهم ورضاهم إلا من وجهة حب

الخير لهم وبغض الشر لهم، ورؤية الفضل من الله عليه في الحالين بالشكر في الإقبال، والابتهاال والتضرع في الإدبار.

إنى رأيت بعد إقامتى بمصر كثيراً ممن ينتسبون إلى طريقي على غير هدى، فمنهم الضال المضل الداعى إلى الشر، المعتقد أن الطريق إلى الله تعالى ترك الكتاب والسنة، والعمل بالحظ والهوى من الإباحة، وترك أركان الإسلام بدعوى أن هذا حال، وأن الحقيقة فى نظرهم فوق الشريعة، والنفوس الأمارة بالسوء تميل إلى هذا الفساد بسرعة وتعتنقه بقوة، خصوصاً إذا تلتقت هذه الأباطيل من جاهل مغرور.

أحزنتى جداً ما رأيت، وأخذت أركب الأدوية لتلك النفوس بقدر الطاقة من تأليف ومدارة، حتى تحققت أن القضاء أعمى أبصارهم، ووجدتني مطالباً أن أتبرأ منهم، فزادهم ذلك طغياناً وأنكرونى، وابتدعوا لهم طريقاً آخر محاربة لى، فشكرت الله الذى أظهر للناس سوء مقاصدهم، وسألت الله لى ولهم الهداية، وهم لا يخفون على أحد من إخواننا السالكين على الكتاب والسنة، فأحذر إخواننا منهم.

وهنا أبين الشريعة والطريقة والحقيقة بياناً شافياً، ليحفظ الله قلوب السالكين من الوقوع فى الضلالة والخزى.

هذا البيان رجعت فيه إلى ما ورد عن السلف الصالح، عندما ظهرت البدع والفتن، وكثرت الآراء والمذاهب، خصوصاً الخلاف الذى وقع من أهل الزور والبهتان فى الشريعة والطريقة والحقيقة.



تعريف أولية

الشريعة

الشريعة هي الائتثار بالتزام العبودية، والشرع في اللغة عبارة عن البيان والإظهار، يقال: شرع الله كذا، أى جعله طريقاً ومذهباً، ومنه المشرعة والشريعة والشرع والدين والملة والناموس، كلها بمعنى واحد.

الطريقة

الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، مع قطع المنازل والترقى في المقامات.

الحقيقة

الحقيقة والحق هو الثابت الذى لا يسوغ إنكاره، وفي اصطلاح أهل المعانى: هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك، ويقابله الباطل، فمعنى حقيقة الشئ: مطابقة الواقع إياه، قال عليه السلام: (عِلْمُ الْبَاطِنِ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَةٌ مِنْ حِكْمِ اللَّهِ يَقْدِفُهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وقال عليه السلام: (الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَتِلْكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ).

وقالوا: الشريعة أمر بالتزام العبودية دائماً، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة أيضاً.

فالشريعة أن تعبد الله، والحقيقة أن تشهد حقيقته، فالشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.

الحقيقة بحسب ما يعلمه السالك في سلوكه حتى يصل، فإذا وصل بيّننا له الحقيقة بحسب مقام الواصل إلى أن يتمكن، فإذا تمكن ألهمه الله الحقيقة.

اعلم أن الحقيقة أن ترى الله هو المتصرف في خلقه. يهدى ويضل ويعز ويذل ويوفق ويخذل ويولى ويعزل، فالخير والشر والنع والضر والإيمان والكفر والتصديق والنكر والفوز والخسران والزيادة والنقصان والطاعة والعصيان والجهل والعرفان بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفظة وخطرة وذرة في العالم، ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وقدره، ولا مهرب من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة على طاعته إلا بإرادته ومعونته ومحبه. فعرفنا أن هذه الصفات التي صدرت بالقضاء والقدر حقيقة.

ثم إن الله تعالى جعل للعبيد كسباً واختياراً ميزهم عن الجمادات والبهائم، فجعل العبد قادراً على الفعل، وجعل له نية وقصدًا يختار بها الفعل، ليمتاز بها عن المكره والمضطر، ثم إنه تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأمر بالإيمان والطاعة ونهى عن الكفر والمعصية، وأخفى عن العباد ما علمه من أحوالهم وما أراد من أفعالهم، فمن كان في علم الله القديم ومشيئته السابقة سعيداً يسر الله له الطاعة، ومن كان شقيماً عسر عليه الطاعة، فالاعتبار بالخاتمة وهي السابقة، وله الحججة البالغة وسطوة قهره دامغة ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا فَعَلَ وَهُمُّ يُسْئَلُونَ﴾ الأنبياء ٢٣.

الجمع بين الشريعة والحقيقة

وقد جمع الله تعالى بين الشريعة والحقيقة في آيات كثيرة، فمنها قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ التكاوير ٢٨، فهذه شريعة، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ التكاوير ٢٩، فهذه حقيقة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ المدر ٥٥، فهذه شريعة، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ المدر ٥٦، فهذه حقيقة، ومنها قوله تعالى تعليماً لنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الفاتحة ٥، حفظاً للشريعة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة ٥، إقراراً بالحقيقة، فأياك نعبد فيه إثبات الكسب للعبد وإضافة العبادة إليه، وإياك نستعين فيه رد الأمر إلى الله، وأن العبادة بعونه وتيسيره، وفي قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أى لا نعبد إلا إياك، ولا نشرك في عبادتك غيرك، فهذا مقام الشريعة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أى لا نستعين إلا بك لا بأنفسنا وحولنا، وهذا مقام الحقيقة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مقام الأبرار، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مقام المقربين.

فالأبرار قائمون بالله، والعمل الأول هو العمل لله، والعمل الثانى هو العمل بالله، فالعمل لله يوجب المثوبة، والعمل بالله يوجب القربة، والعمل لله يوجب تحقيق العبادة، والعمل لله القيام بالأحكام الظاهرة، والعمل بالله القيام بالضمائر.

فمن زعم أن التمسك بالحقيقة يغنى عن اتباع الشريعة فهو ضال مضل، فعنه ﷺ:
(الشَّرِيعَةُ أَقْوَالِي وَالطَّرِيقَةُ أَعْمَالِي وَالْحَقِيقَةُ أَحْوَالِي).

والمعرفة رأس المال، وطهارة الشريعة بالماء والتراب، وطهارة الطريقة بالتخلية عن الهوى، وطهارة الحقيقة خلو القلب عما سوى الله تعالى. فمن زعم أن العبور من حُجُب البشرية والوقوف على أسرار الطريقة والحقيقة بما يخالف الشريعة فقد طغى، وغلبت عليه الضلالة والنسيان، واستهوته الشياطين في الأرض حيران، حتى أوبقته في أودية الهجران، وأهلكته في قيعان الخسران، إلا من تاب وآمن وتاب عليه الرحمن، وإلا فكل طريقة تخالف الشريعة فهي كفر. وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة.

لما توضح من أن الحكم بالأسباب ومراعاة الأمر والنهى فرق وعبودية وشريعة، والنظر إلى تصريف الله تعالى في خلقه جمع وتوحيد وحقيقة، فالحقيقة إذاً باطن الشريعة، ولا يغنى ظاهر عن باطن ولا باطن عن ظاهر، والمعرفة تحقق هذه الثلاثة.

مما توضح علم أن أهل الظاهر هم أهل الشريعة وأهل الباطن هم أهل الحقيقة، وهما متلازمان حقيقة، لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الرُّبْد في لبنه، فبدون مخض اللبن لا يظفر بزبده، فالمراد من الحقيقة والشريعة إقامة العبودية على الوجه المرضى.



الباب الثاني

في الطريق وما يناله السالك وأدب صحبة المرشد

وأخذ العهد على المرید

احتياج المسلم إلى الطريق

كل مسلم على يقين أنه مسافر إلى الدار الآخرة، وأهل الإيمان منهم مسافرون إلى مقر رحمة الله ودار النعيم الأبدى، وأهل الإحسان مسافرون إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأهل الإيقان مسافرون فراراً من الكونين إلى المكون جل جلاله.

ولما كان المسافر إلى مكان بعيد لا يخلو حاله إما أن يكون عالماً بالطريق ومتمرنًا عليه أو لا. فإن كان عالماً به احتاج إلى رفيق يعينه على مهام شئونه، حتى يكون على يقين من أنه إذا نسى ذكره وإذا ذكر أعانه، وفي الحكمة: (الرفيق قبل الطريق)، وإن كان جاهلاً بالطريق احتاج إلى دليل موثوق به مشهور بين الناس بتوصيل السفر، ولو أن المسلم حصل علوم الأولين والآخريين ولم يظفر بدليل في مقام جهالته بالطريق، أو برفيق في مقام علمه به، لا يصل إلى قصده.

ولو أن الله تعالى قدر ذلك في أزله لأظهر ذلك في ملائكته المجردين عن المادة ولوازمها، أو منح ذلك لرسله الكرام، فإن الله تعالى ألزم الملائكة أن يتلقوا من آدم عليه السلام، وأمر الرسل أن يتلقوا من جبريل، وقد صحب جبريل رسول الله ﷺ في إسرائه وفي سيره، وهو من تعلم جلالة وقدرًا حفظاً للناموس الإلهي حتى ينفرد جل جلاله بالعلم بذاته.

وقد سأل رجل أستاذه عن وظائف وأوراد، فغضب منه الأستاذ وقال: أرسلوا أنا فأوجب الواجبات! الفرائض معلومة والمعاصي مشهودة، فكن للفرائض حافظاً وللمعاصي رافضاً، وتحفظ من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات، وأقنع من ذلك كله بما قسم الله لك، إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله شاكراً، وإذا خرج مخرج السخط فكن عنه صابراً، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لأنواع الكرامات. وحصون ذلك

كله أربعة:

- ١ صدق الورع.
- ٢ حسن النية.
- ٣ إخلاص العمل.
- ٤ صحبة العالم.

ولا تتم لك هذه إلا بصُحبة أخ صالح أو شيخ ناصح.

ما يناله السالك بانتسابه للطريق

بيننا أن الطريق يراد بها ما يسهل به الوصول إلى المقصد، آمناً سالكه على نفسه وماله ومن وعشاء السفر وسوء المنقلب، ولما كان السالك إلى الله - كما بينا سلفاً - يفارق حقائق كثيرة هى في نفسه، لا يتسنى له الوصول مادام واقفاً عندها، وكل حقيقة من تلك الحقائق كجبل سد مسلك المسافر إلى الله تعالى، فإنه ربما اغتر بأعماله فأفسد إبليس عليه حاله، فكم من سالك زلت به قدمه، وواصل ارتد على وجهه، ولا أمان لمكر الله، إذاً يتعين على كل مسلم أن يتلقى الأسرار، وأن يقتدى بالمرشد في الأعمال والعقيدة والأخلاق والعبادة، ليكون أشبه الناس برسول الله ﷺ، فإن كل مسلم لم يتلق العلم من العالم الربانى، ولم يقتد بالمرشد الكامل، يُخشى عليه من الشرك الخفى أو الأخفى، ومن الغرور بالنفس والعمل والنسب والجاه، فكل مسلم لا يتربى على يد مرشد لا يذوق لذة الإيمان ولا لذة التقوى، ولا يكون في حصون الأمن من وسوسة الشيطان وخدع النفس، وبالمرشد ينال الرقى إلى مقامات اليقين، من التوبة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والمشاهدة والصبر وغيرها، حتى يبلغ مقام المُقربين، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، نسأل الله السلامة من الآفات في الهجرة إلى الله تعالى إنه مجيب الدعاء، وقد بينا من هو المرشد فراجع.

ما ينبغي للمنتسب أن يتشبه فيه بمرشده

التشبه يكون في الزى والخلق والعمل

فالتشبه بهم في الزى جائز لدفع المضرة وغيرها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾ الأحزاب ٥٩.

ومن ذلك لبس الحرقة للتمييز وللدخول في القوم بالتشبه، لكن بشرط اجتناب الكبائر وصغار الخسة، ولا يقدر عدم الاجتماع بالمرشد في محبته بعد أن بلغه مناقبه وطريقته بالتواتر، فإننا كما نحب رسول الله وأصحابه ولم نرهم، وإنما نقنطد بهم فيما بلغنا عنهم لا بجسمهم، فكذلك المرشد والمتشبه والمنتسب جزاؤه أن يحب ويحترم فيوضع له القبول في الخلق والحُرمة في القلوب، فلا يراه أحد إلا احترامه وعظمه.

وقالوا: أربع آداب إذا خلا منها الفقير المنتسب فلا تعباً به وإن كان أعلم البرية:

١ مجانبة الظلمة.

٢ إثارة أهل الآخرة.

٣ مواساة أهل الفاقة.

٤ مواظبة الجماعة.

ما لا ينبغي للمريد أن يقلد فيه المرشد

للمرشد أحوال خاصة به ينبغي أن لا يقلد فيها إلا بعد الإذن منه بعملها للأخ في الله:

مثل الصولة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومثل اشتغاله بالعلم والمذاكرة عن بعض النوافل.

ومثل مداراته للخلق وتأليفه لأهل المنازل والشرف.

ومثل تركه للذكر باللسان واشتغاله بذكر القلب.

وبذل جميع ما في يده غير خائف من الفقر.

ومثل تكليف بعض الإخوان بما يناسبهم من الأعمال البدنية والصدقات أو الرياضات.

ومثل أن يسأله النساء عن أحكام الدين فيجيبهن.

ومثل أن يعمل أعمالاً لا يقتضيها الوقت هي سُنّة بالنسبة له تخفى على غيره حكمتها.

ومثل أن يحب الجميل من كل شئ في المأكل والمشرب واللباس والفراش.

ومثل سكوته على أمور يلزم المبادرة بمحوها مما هو مكروه أو مخالف للسُنّة، فإن الرجل إنما يسعى ليزيل المرض المنتج للآلام لا ليسكن الآلام، فقد يسكت عن المكروه أو المخالف حتى يعلم حقيقة المرض فيعالجه بالعلاج الشرعي، والشافي هو الله. وربما كان سكوته على المكروه سداً لباب من أبواب الفتنة والتفرقة.

فالمريد لا يقلد المرشد في كل تلك الخصوصيات حتى يظهر له سر حكمتها، وعلى المريد أن يسلم له، ويعلم أنه لم يئوت من العلم إلا القليل، وليتشوف إلى فضل الله والمزيد من العلم، فالمريد الذي يقلد المرشد في خصوصياته ليس بمريد، ولكنه حيوان يُحاكي كالقردة والنسانيس، أو رضيع يُحاكي أعمال والده.

آداب في الاقتداء

ورد في الاقتداء عشرة آداب فاحتفظ بها:

١ إذا رأيت رجلاً يدعى حالاً مع الله يخرجك عن أمر الشرع، فلا تقرب منه ولا ترج فلاحه.

٢ إذا رأيت رجلاً يسكن إلى الرياضة والتعظيم، فلا تقرب منه واقطع بعدم فلاحه أبداً.

٣ إذا رأيت فقيراً عاد إلى الدنيا، فلو مت جوعاً فلا تقرب منه ولا تركزن إلى مرافقته، فإن رافقته قسا قلبك أربعين صباحاً.

- ٤ إذا رأيت رجلاً يستغنى بعلمه فلا تأمنن جهله.
- ٥ إذا رأيت رجلاً يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته، فاتهمه في دينه واحذرته أشد الحذر.
- ٦ إذا رأيت رجلاً مُريداً يسمع الملامى ويميل إلى الراحة، فلا ترج فلاحه.
- ٧ إذا رأيت فقيراً لا يحضر عند السماع بل يعقل ويشتهي، فاعلم أنه قد حُرِمَ بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديد فهمه.
- ٨ قالوا: ليس الرجل الكامل من حياى فى نفسه، إنما الرجل الكامل من حياى به غيره.
- ٩ قالوا: كل شيخ لم تصل إليك الفوائد منه من وراء حجاب فليس بشيخ.
- ١٠ قالوا: من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعى.
- وقد بينا المتبع والمبتدع والاتباع فى كتاب " شراب الأرواح " .

آداب الصحبة للمرشد

الآداب عند أهل الطريق هو رعاية الحق جل جلاله، باستحضار عظمتة وكبريائه وعزته. حتى كأن الأديب يراه أو يراقب أنه جل جلاله يراه، فيحفظ السالك أنفاسه من أن يصرف نفساً منها فى غير مرضيه ومحابه، وقد شرحت جملاً منها فى كتاب " موارد أهل الصفا " ، وهنا ألمع إلى شئ من آداب الصحبة:

السالك مهاجر من حسه ونفسه وحظه وهواه مسارعة إلى نيل رضا مولاه. وفار من الدنيا الفانية وزخرفها إلى الدار الآخرة ونعيمها، ولما كانت دواعى فطر النفس المهملة حاجة عن الحق، وكانت وساوس الشيطان الملازمة داعية إلى الهلاك الأكبر والقطيعة عن الخير، لزم للسالك رفيق يصطفيه لنفسه، ويتعين أن يكون أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وأدباً، وأعلم الناس بهديه وسنته أدباً ومعاملة.

وقد بين الله تعالى لنا صفاته ﷺ فى القرآن، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ

يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة ١٥١﴾،
 فبين لنا سبحانه أن المرشد يجب أن تختاره بعد العلم اليقيني بأنه أقرب الناس شبهاً برسول
 الله ﷺ، وبعد طول البحث والاختيار والتجربة حتى تطمئن القلوب، ولديها يجب أن نسلم
 له ونقتدى به، ونخالف الحظ والهوى مسارعة للاقتداء به.

آداب صحبته

١ نقيمه مقام الوالد الرؤوف الرحيم، ونقوم له بما يقوم به الولد البار الكريم، وقد أدب
 الله من اجتباهم في صحبة الأئمة حتى بلغوا مقامات المحبة والقرب.

وكلما تفضل الله عليهم بعواطفه عرفاناً، وإحسانه إقبالاً، وفضله علماً، ومننه شهوداً، قاموا
 لله شكراً لنعمته عليهم بتعظيم الوسيلة، وسارعوا لشكر من أجرى الله النعمة لهم على يديه،
 فزادهم الله يقيناً وقربهم لديه زلفى، حتى بلغوا مقامات الشهداء والصديقين وهم على ما هم
 عليه من الآداب، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
 مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب ٢٣، ما دام المرشد متحداً مع رسول الله ﷺ، فإنهم صحبوه
 على بصيرة من أمرهم، لأنهم أحبوا الحق وأحبوا المرشد للحق، وما دام على الحق فهو
 حبيبهم ووالدهم وسيدهم، وإن خالف الحق خالفوه وهم صفوة الله من عباده.

٢ ومن آدابهم أن السالك مهما أكرمه الله تعالى لا يخطر على قلبه أنه أشبه المرشد أو
 ساواه أو استغنى عنه، فإن ذلك دليل القطيعة عن الله تعالى، وإن كان الرجال لا يحظرون
 على فضل الله تعالى، ولكن الطريق لا يسلم فيه إلا أهل الأدب، وفيه سوء الأدب عطب،
 والعطية من الله تعالى توجب على العبد مزيد الشكر، ومن كانت العطية له سبباً في الكفر أو
 موجبة للفخر فهي بلية، أعاذنا الله وإخواننا منها.

وقد أدب الله أوليائه بهجرة الكليم عليه الصلاة والسلام للعبد العالم، وبين لنا أدب
 الكليم عليه الصلاة والسلام معه، مع ما لاقاه منه من الجفوة والاحتقار في مخاطبته بقوله:
 ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴿الكهف ٦٧-٦٨﴾، وبين لنا

سبحانه وتعالى سوء أدب موسى السامرى وبلعام بن باعوراء، الذى أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الأعراف ١٧٥، وكان من خاصة أصحاب الكليم ﷺ، فبلغ في محبته مبلغاً ظن فيه مساواته له وتفوقه عليه، وقد أثبت التاريخ سوء أدب يهوذا صاحب المسيح ﷺ، الذى سعى في قتله بعد أن اعتقد أنه تفوق عليه بما ناله، وسوء الأدب مع المرشد دليل الطرد والخسران يوم القيامة.

صحب رجل الجنيد رضي الله عنه فقال بصحبته شهرة بين الناس، فاعتقد مساواته للجنيد وتفوقه عليه فاعتزله، وكان يشهد مشاهد ظنها معارج، ولكن الله تداركه بلطفه فتوجه له الجنيد وقال له: قُل: " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، فقأها، فتبين أنه على ضلال.

وكثير من السالكين يهبهم الله تعالى لسان بيان ويقبل سبحانه بالوجوه عليهم، فيظنون لجهالتهم أن هذا هو الوصول، فيلتفتون عن المرشد فيفتنون، والله تعالى يقول: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ القصص ٧٧، وكل من استعان بنعم الله على معاصيه بطراً وفخراً فهو هالك.

وقد صحبنى في بلاد مصر ناس منحهم الله البيان، وأقبل بالوجوه عليهم فمالوا إلى حظوظهم، فمنهم من التفت ظاناً أنه استغنى عن المرشد فتخبطه الشيطان، ومنهم من استدرجه الله تعالى وطرده من الخير الحقيقى، فأصبح ذاماً بعد المدح، مُنكراً بعد التسليم، فرحاً بما يفرح به اليهود، معتقداً أن المال فى الدنيا هو الخير الذى يمن الله به على أوليائه، ونسى أن رُسل الله صلوات الله وسلامه عليهم عاشوا فقراء، وأنه عجل لأعدائه ما يحبونه استدراجاً منه لهم، ولو علم ما أوقعه فيه الشيطان لأوقع نفسه من شاهق جبل.

٣ والسعادة فى الطريقة هى الأدب مع المرشد حتى يفارق الدنيا، وحفظه بعد موته، فإن سوء الأدب مع المرشد فى حياته يدل على أن السالك يحرم الجمعية على رسول الله ﷺ، وإنما يفوز بها أهل الأدب مع المرشد، ومن ظن فى نفسه أنه ساوى المرشد، ويقدم رأيه على رأيه، لا يصلح للجمعية على رسول الله، ومن نقص المرشد وفرح بما يفرح به اليهود من المال باء بالخسران.

وحفظ الأدب في الصحبة دليل على عناية الله بالسالك، وإنما هو الأدب في الطلب، وبه الرقى إلى أعلى الرتب، أسأل الله تعالى أن يرزقني وإخواني الأدب لله ولرسوله، ولكتاب الله وسنة رسوله. فإن مسئ الأدب لم يدخل الطريق ولم يخرج منه، لأنه دخل في حظه فظن الناس أنه في الطريق، وكشف الله الستر عنه وارتد أمام الخلق إلى حظه، فهو بعيد أولاً وآخراً، وهو كما قال الله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُولَاءٍ ﴿ النساء ١٤٢-١٤٣، ومن وضع قدماً واحداً في الطريق لزم أعتاب الرفيق، والله يتولى الصالحين

قال الشاذلي: ما سلم عبد من النفاق ما لم يعمل على الوفاق، وقال: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم.

وقال سهل: احذر ثلاثة أصناف: الفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين والجبابرة الغافلين.

وقالوا: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والبعيد سواء:

- ١ الرحمة للأصغر.
- ٢ والحرمة للأكابر.
- ٣ والإنصاف من النفس.
- ٤ وترك الانتصاف لها.

صورة المبايعة التي يعبر عنها أهل الطريق

بأخذ العهد على المرید

لما كان طريق السادة العزمية الشاذلية مأخذه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعمل الخلفاء الراشدين ورجال الصوفية السابقون، بينا في هذا الفصل صورة المبايعة التي كان يلقنها الأشياخ لمن أراد الانتساب في طريقهم، مثل سيدي القطب الغوث السيد أحمد الرفاعي رحمته الله وغيره.

أولاً يبدأ الشيخ بقراءة الفاتحة سرّاً ثلاث مرات، مستمداً بركة التلاوة من رسول الله ﷺ أو من شيخه الأكبر صاحب الطريق إن كان تابعاً لمرشد كامل واصل، ثم يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح ١٠، ثم يستغفر الله ثلاث مرات بأى صيغة، ثم يمسك بيده اليمنى يد المريد ويلقنه الذكر المذكور في الكتاب في باب التلقين، ثم يقول: أشهد الله وملائكته وكتبه ورسوله والمحاضرين من خلقه، أنى تائب إلى الله تعالى من جميع الخطايا، راغباً في امتثال أوامر الله، مجتنباً نواهيه ومحارمه، مجتهداً في طاعة الله منيباً إليه، مواظباً على خدمة الطريق، ناصرًا لسنة المصطفى ﷺ بنفسى ومالى على حسب الطاقة، وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله ورسوله هو سيدنا المرشد الوارث لرسول الله قولاً وعملاً وحالاً السيد محمد ماضى أبو العزائم، بايعته على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، اقتداءً بأهل البيعة من الصحابة والتابعين، وأن أكون ناصرًا للحق للحق على نفسى أولاً، وأهلى وكل من فى رعيتى، ناصحاً للمسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، مجادلًا بالتى هى أحسن بلسان الحجّة أهل الكفر والإلحاد والضلال والبدع، مستعيناً بحول الله وقوته، مستمداً الهداية والتوفيق منه سبحانه، فهو نعم المولى ونعم النصير.

مأخذ التلقين فى الطريق

أورد الطبرانى أنه عليه الصلاة والسلام قال: أفيكم غريب؟ فقال ابن أوس: لا. فأمر بعلق الباب، وقال: ارفعوا أيديكم وفقولوا: لا إله إلا الله، ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد. ثم قال: ألا أبشروا، فإن الله قد غفر لكم.

وكان ﷺ يلقن بعض أصحابه أذكارة خاصة، من ذلك أنه لقن علياً بن أبى طالب قائلاً له: (قل الله ربي ثم استقم). ولقن كثيراً من الصحابة أذكارة وأدعية خاصة، ورد منها فى الصحاح ما ورد، واختص ببعضها رجالاً لم يدونها، بل تلقوها عن الرجال سماعاً إلى وقتنا هذا، وقام سيدنا ومولانا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلقن سلمان الفارسي وغيره، ولقن سلمان

سيدنا الإمام الحسن عليه السلام. ولقن أمير المؤمنين سيدنا عليّ أولاده وغيرهم من بنى هاشم والحسن البصرى، وهكذا كان التابعون رضى الله عنهم يتعرضون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله للتلقى عنهم، فيتلقون عنهم الأذكار والأدعية سماعاً أو تلقيناً أو إذناً، ولا يزال المسلمون يتلقون ممن يرونه أهلاً للحمل والرواية ومحلاً للعلم والتقوى.

وقد صح الأذن برواية الحديث والتصريح بتعليمه من الأئمة والشهادة لحامله من العلماء وهو من السنة، وليس من قال: "لا إله إلا الله" ليأمن بها من القتل وسلب الأموال أو من الرق والذمة، كمن كان مؤمناً وسمعها تلقيناً ليعلم معناها ثم يذوق حلاوتها، ثم يشهد أنوارها بكمال التوحيد، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هود ١٤، فكلفنا بعلم حقيقتين عظيمتين لا إيمان بدونهما، إحداهما: علم أن الكتاب العزيز أنزل بعلم الله. والثانية: علم أنه لا إله إلا هو، أى: لا إله إلا الله، لأن الضمير يعود على الاسم الأعظم المتقدم فى الآية. فمن قال: "لا إله إلا الله" ولم يعلمها كيف يكون مؤمناً كاملاً؟! فسماعها من المرشد العالم الربانى العامل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ليس كسماعها من والديه، فكأن سماعها من المرشد حياة دائمة جديدة، وكأنه بعملها صار مؤمناً فى الوقت كامل الإيمان. فعلى كل سالك أن يسارع إلى الوسائل التى بها يعلم أن الكتاب العزيز أنزل بعلم الله، وأن لا إله إلا الله، حتى يتحقق بشعب الإيمان جميعها، ما كان منها علماً وما كان منها عملاً، حتى تكمل نفسه بالعلم ويكمل جسمه بالعمل، وقد بينت فيما سلف من الكتب تفصيل مجمل ذلك فراجع، فإن هذا المقام مقام إيجاز، لأنى أبين التلقين وما يلحق من الأسماء والأدعية، وما يؤذن به من المراقبة والمحاسبة، وما يمنح بالإشارة من التنزلات، والانتشال من أحوال التوحيد وتجاوز بادية الإلحاد، وما يتفضل به الله على السالك المخلص من السلطان، لينفذ من أقطار السماوات والأرض ليتبين له الحق، ثم ما يواجهه به سبحانه وتعالى شهوداً وعياناً، حتى يرى الوجه العلى الكريم حيث ولى وجهه، وبعد ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مما انطوى بساطه وأخفى عن العقول والنفوس بيانه من العلم الإلهى والرحمة من عند الله والنور من لدن الله تعالى، حتى يكون عبداً لله مخلصاً صادقاً، مقبلاً عليه سبحانه بالكلية، راغباً فى القبول منه سبحانه.

الجمل التي تُلَقِّن

يلقن المرشد أو نائبه السالك - بعد إذنه - بأوراد الليل والنهار التي ستبين في الأوراد، قول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يُسمعها إياه ثلاث مرات، يأذنه بتلاوتها تسعين الف مرة في زمن غير محدد بقدر اجتهاد السالك، مع ملاحظة النطق بها صحيحة.

فإذا أتم العدد، وأنس منه بصفاء نفسه وحسن أخلاقه ورغبته فيما عند الله، أذنه بأن يذكر الكلمة قائلاً: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ملاحظاً نقشها على النصف الأعلى من جسمه، بحسب البيان الذي بينه المرشد أو نائبه، ويلاحظ أنها منقوشة بالنور على نصفه الأعلى ظاهراً، أو يكون هذا الذكر في وقت صفاء في خلوة، حتى يلاحظ أنها تخرج من فمه فتتنقش أمامه بالنور، فيكون وهو مغمضاً عينيه كأنه يراها منقوشة على نصفه الأعلى بالنور، ويراهها منقوشة من فمه في الجو أمامه، فلا ينطق بها مرة إلا ويراهها نقشت أمامه بالنور حتى تملأ الآفاق.

ويكون ذكره في غير أوقات الخلوة قول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) والكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فإذا صفا جوهر نفسه، وحصل له الأنس في نومه بالرؤية الصالحة، وفي يقظته بذوق حلاوة الذكر وشهود النقش، وأنس منه المرشد أو نائبه بالإقبال والإخلاص، لقنه قول: (رَبِّيَ اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، مع ملازمة ذكر التهليل في الخلوة بالنقش، ملاحظاً في قوله: (رَبِّيَ اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فصلت ٣٠.

فإذا أنس منه بعلامات الأحوال من البسط والسرور والفرح بالذكر، وحسن الأخلاق وصفاء السريرة، والنطق بالحكمة وكثرة الرؤية الصالحة، ومواساة الإخوان، أذنه بالاسم المفرد اسم الجلالة بعدد مخصوص، لا يقل عن ست وستين الف مرة، في زمان غير محدود، يجعل له من هذا العدد مقداراً في الخلوة، يغمض عينيه عند ذكره، ويستحضر المرشد قائلاً:

(الله الله الله) وعاقبة كل مائة في الخلوة يقول: (اللَّهُ رَبِّيَ اللَّهُ حَسْبِيَ فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي وَنِعْمَ الْحَسْبُ حَسْبِي) ثلاث مرات.

ثم يستأنف الذكر، فإذا أتم العدد المأذون به وظهرت عليه أحوال الخوف من مقام ربه، والخشية التي تحصل لأهل الحضور مع المذكور جل جلاله، لقنه الاسم الأعظم (اللَّهُ) بالمد مرة وثلاثاً بالقصر، كل أنفاسه، مادام فارغ القلب مما سوى المذكور، ويجعل له خلوة يذكر فيها الاسم الأعظم كما بينت، مغمضاً عينيه مستحضراً المرشد حتى يراه معه، لتحصل له الطمأنينة عند انبلاج أنوار الذكر، مع ملازمة ذكر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بطريق النقش في كل ليلة ولو مائة مرة وملازمة (اللَّهُ رَبِّيَ اللَّهُ حَسْبِيَ) في كل يوم ولو ثلاث مرات.

فإذا منحه الله السكينة وتولاه الوليُّ القريب المجيب وصار قلبه مطمئناً، لديها يبشر بالفتح القريب، كما قال الله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح ١٨، لديها يلقنه الاسم الأعظم (اللَّهُ) بالمد منقوشاً على القلب بالنور بالكيفية التي يبينها المرشد أو نائبه.

ويشترط في هذا المقام أن يفتح خلوته بصلاة ركعتين على الأقل، ويجلس مستقبل القبلة، مستحضراً المرشد استحضاراً يجعله معه شهوداً بالخيال أو وجداً بالمثال أو حقيقة بالإطلاق. والأرواح لا يجبها كون ولا يبعدها أين بعد مجاهدة النفس لأنها في حضرة الإطلاق، ومتى تخيل المرشد أو تمثله اتصل بروحانية رسول الله ﷺ وآله.

ثم يقرأ الفاتحة و﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ التوبة ١٢٨، و﴿الْمُنشَرِحُ﴾ الإنشراح، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الكافرون، والإخلاص والمعوذتين. ثم يذكر الاسم الأعظم (اللَّهُ) إن كان منفرداً بنعمة يسمع نفسه، وإن كان معه غيره يذكره بأقل السر، مرة بالمد وثلاثاً بالقصر، فإن حصل له الحضور أشرق له النور وأنس بالمرشد، وورد عليه وارد الورد، فإما أن يجمع بين الذكر والفكر إن اتسع ماعونه، وإما أن يقتصر على الذكر أو الفكر، مادام المرشد مشهوداً له أو ملحوظاً، وقبل أن يمل يقرأ الفاتحة ويستحضر الإذن بالانتقال من تلك الحضرة بالروح، ثم يقول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ثلاث مرات، ويقوم لحاجته من نوم أو صلاة أو تلاوة القرآن أو عمل بالمنزل أو عمل لنفسه وأهله وإخوته.

ويكون ذكره مادام غير مشغول بشئ " الاسم الأعظم " بالمد مرة وبالقصر ثلاثاً في كل أنفاسه إن استطاع، فإذا اتسع قلبه وشرح الله صدره وقوى الوجد وصحت الإرادة وصفى قلبه للحكمة وفقه أحكام الله تعالى، وذاق حلاوة شهود الآيات في الكائنات وفي نفسه، وصغرت في عينه زينة الدنيا وزهرتها، وعظمت شعائر الله في قلبه، واشتاق إلى علم نشأته الأولى والآخرة، وقويت عليه الحيرة في التوحيد حتى رغب في المزيد، وعلم المرشد منه كل تلك المعاني، وامتحنه في نفسه وماله وجاهه وحظه وهواه وقصوده.

وهذا الامتحان ينبغي أن يكون بعلم ما يميل إليه ويسارع إليه ويحبه، لا بالفعل، فإن المرشد ليس له أن يستظهر على رسول الله ﷺ، وكيف لا والاستظهار على رسول الله سوء أدب، ومسيئ الأذب مع رسول الله محروم، فكيف يمنح غيره!

فيكون امتحانه للسالكين بما يظهر له في أنفسهم وفي أموالهم وفي أحوالهم وفي ميولهم وقصودهم، فلا يمتحن أحدهم بتكليفه بعمل لا يطيقه، ولا يسألهم أموالهم كما بين الله ذلك، ولا يأمر بترك مباح ولا يعقوب ولا بقطيعة ولا بأذية، ولكنه يبين سبيل الله وأخلاق رسوله ﷺ، والأعمال التي تقرب إلى الله تعالى، مبيناً ذلك بقوله وعمله مع كمال الرحمة بهم والشفقة عليهم وحب الخير الحقيقي لهم، اقتداء برسول الله ﷺ.

فإذا ظهر للمرشد ما فطرت عليه نفس السالك، وصفاء جوهره وميلها إلى الحق، ورغبتها فيما عنده، ومسارعتها إلى الأكمل من كل شئ، وتركها للمعاصي مرة واحدة، لديها يلقن المرشد لطيفة البرزخ، ويبين له ما يناسبه من أسرار التوحيد، ومن حكمة الأحكام، ويفك له رمز وجوده وسر إيجاده، وقد بينتها في كتاب " الفرقة الناجية "، وأيضاً ذكر اللطائف بالقلب وبالروح وبالخفا والأخفى، مبينة فيما كتبناه مما هو تحت الطبع.



الباب الثالث

أنس آل العزائم

أنس السالكين والواصلين والتمكّنين في طريقنا هذا هو القرآن المجيد، فالسالك يفهم، والواصل يفهم ويذوق، والتمكّن يشهد غيوبه في تلاوته، وكل رجل من آل العزائم يجب مجالسة الله تعالى، وتالي القرآن جليس الله تعالى، وبقدر المحبة يكون الشوق للمجالسة، فأنس يا أخى كل يوم بتلاوة القرآن متى صفا قلبك، واستراح جسمك من عمل الدنيا والآخرة والدين، لتأنس بالله رب العالمين، ولو بتلاوة جزء أو أكثر أو أقل في كل يوم إن أمكن، وكل تلك الرواتب المتقدمة دون بر الوالدين عند المقتضيات، ومن ظن لجهله أن تلك الرواتب والوظائف في الطريق تساوى بر الوالدين فقد جهل، فإن بر الوالدين وصلة الرحم عبادة.

الأحوال

الأحوال هي نتائج الإرادات من قوى النفوس.

الحال

الحال هي الحجة القائمة على صدق الدعوة، فمن ادعى محبة الله تعالى ولم يقيم الحجة بقوله وعمله على تحقيق دعواه كان ضالاً مضلاً، ولما كان طريقنا هو الطريق المستقيم الذى ينتج الأحوال العلية بالأعمال السنية، وكان كثيراً من الأدعياء في طريقنا يتكلفون أحوال الرجال للطمع فيما لا مطمع فيه، والحرص على ما يقطع عن الله تعالى، شرح الله صدرى أن أكتب في الحال ما تظهر به آثار التوبة والاستقامة والمحبة، وما تظهر به آثار خبث الطمع وسوء أعمال النفس الأمارة، والجهل بالنفس وباللّه تعالى وبمناهج الأئمة المهتدين.

والأحوال إما ربانية أو طبيعية أو شيطانية، وهنا وجب على أن أبين الفرق بينهم كما بين ذلك الرجال من قبلى.

تمييز الأحوال

وهنا نبين كل حال ونميز كل صفة، حتى يكون السالك على بصيرة من نفسه وغيره.

مُدعى الحال له ثلاث صفات

الصفة الأولى: الحال الرباني

نقتصر على شئ منها، وهو أن الإنسان إذا كان صاحب صدق وورد عليه حال حق، تشتغل الروح معه وتتحد بالجوارح، وينحرف الطبع ويتغير المزاج، ويعرق الجبين ويحمر الوجه، وهنا يكون قد غمره النور، وتوالت عليه الإلهامات من المعاني القرآنية، وقام كأنه نشط من عقال، وهي المحادثة، ولأولياء الله تعالى فيها مشارب شتى.

الصفة الثانية: الحال الطبيعي

هي أنه متى اشتد الحال على الإنسان، وغاب عن الوجود الحسى، فإن حصل في تلك الغيبة علماً يعقله هنا ويعقله إذا رجع إلى حسه، ويعبر عنه بما أعطاه الله من العبارة، فهو الحال الإلهي، يملأ القلب سروراً عند الإفاقة.

فإن غلب ولم يجد شيئاً ثم رد على حسه خلواً من ذلك، فهو حال من المزاج، لما حمى القلب بالذكر أو بالتخيل، صعد منه البخار من التجويف الكبير إلى الدماغ، فحجب العقل ومنع الروح الحيوانية من السريان، ورمى بصاحبه كالمصروع، فهذا حال صحيح ولكن من المزاج الطبيعي ليس له فائدة، وكثيراً ما يرى شبحاً أو سحاباً أو بستاناً أو برأ أو بحراً، وهو هذا البخار.

الصفة الثالثة: الحال الشيطاني

فهي لكذاب، وهو الذي يعقل أهل مجلسه في السماع أو في خلوة، فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس، قد سخر منه الشيطان، فكل ما يلقي إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم، فلا

يعول على ما يخاطب به وإن صادف الصحة.

كما قال الفقهاء: من صلى جاهلاً لم تصح صلاته وإن صادفت الصحة.

فكذلك عند الصوفية، لا يعول أبداً على ما يخاطب به الجاهل، فإنه لا يحسن أن يفرق بين الحق والباطل، فكيف يعول على قوله؟ وهذه الحالة شيطانية تنتج كل شر من قول وعمل.

وقد يوسوس إليه الشيطان في صدره بأقوال وعقائد وأعمال لا تنطبق على الشرع الشريف، ولا على تعاليم القرآن المجيد، ليحكم أحكاماً فاسدة، ويخلط بين الأمر والإرادة والحق والخلق.

ومنهم من يضل فيرى بالحلل، ويحكم بوحدة الوجود، لجهله بتصريف القدرة ووحدة الأفعال.

وقد يلتبس عليه مشهد التوحيد بالواحد، فيلقى الشيطان في صدره أنه إذا نظر غيراً أشرك، فيرى الناظر والمنظور، والساجد والمسجود له، والذاكر والمذكور واحداً، فهذا المشهد أفسد عقول أتباع المسيح من النصارى، وما شابههم من أهل الزندقة الجهلاء بمراتب الوجود.

الإخوان

أريد بالإخوان كل الناطقين معي بـ " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، المتفقين معي على التصديق بما أنزل الله على سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، المؤمنين باليوم الآخر، وإن تفاوتت مراتبهم من حيث فهم آيات الله، وذوق معانيها وانبلاج أنوارها، ووضوح الحجج والدلائل بحسب المواهب التي يمن الله بها على كل مؤمن من الفطنة والذكاء والنور والفقه والمعرفة والعناية، والتوفيق لعمل تزكية النفوس والقربات، ومكارم الأخلاق وحسن المعاملات وعلوم اليقين.

فإن هذا التفاوت وإن أدى إلى اختلاف في مشاهدتهم وأحوالهم وخصوصياتهم بالنسبة لما

يمن الله به عليهم من مزيد الإيمان إلا أننا والحمد لله جميعاً نمثل أبناء والد واحد ووالدة واحدة، كلنا بارون بوالدينا، لا نشك ولا نرتاب في صحة نسبتنا إليهما، إلا أننا نتفاوت في السن، وتفاوتنا في السن لا يؤدي إلى اختلاف بيننا أو خلاف، بل كل واحد منا وإن كان رضيعاً هو أخ للآخر وإن كان كهلاً، حظه من والديه مع طفولته كحظ الكهل منها نسباً وميراثاً وحقوقاً، إلا أن الصبي يعظم أخاه الكبير بالاعتداء به وتلقى علومه ومعاونته له على النفع العام.

والأخ الكبير يرحم الصغير بدلالته على الخير، وتربيته على ما به سعادته وسعادة إخوته، وموالاته بما لا بد منه من غذاء للجسم أو للروح أو تزكية للنفس.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ الحجرات ١٠، وقال ﷺ: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) وقال ﷺ: (الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ) وقال ﷺ: (الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ) وقال ﷺ: (الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاؤُهُمْ وَيَجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ...).

فكأنى والحمد لله إذا قلت: "إخوانى" فإنما أعنى كل من اعتقد عقيدتى التى هى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، وصدق بكتب الله ورسل الله صلوات الله عليهم، وملائكته وقضائه وقدره، وآمن بالآخرة إيماناً حقيقياً جعلها ممثلة أمامه، فرغب في نعيمها وخاف عذابها خوفاً تحقق به أن الوقوع في المعصية هو عين العذاب الأليم.

بهذا أرانى منشرح الصدر إذا أنا خاطبت إخوتى بما أخاطب به نفسى، وقمت خادماً لهم بقدر ما وهب لى ربى، والمأمول من إخوانى أنى إذا كتبت ما هو خير وحق ونفع، أن نشكر الله جميعاً على توفيقه وعنايته، فإن ذلك من روح الله وتوفيقه وعنايته، وإن أخطأت أو سهوت فعلى إخوانى - أيدنى الله وإياهم بنور الذكر الحكيم - أن يغيروا خطئى هذا بما هو الحق، ويستغفروا الله تعالى لى، لأن ذلك من عجلتى التى أنا مفطور عليها، ومن نسيانى الذى هو من أخص مميزاتى.

أسأل الله تعالى أن يحفظنى من سوء النية وخبث السريرة، ويعيذنى سبحانه من أن أتبع غير سبيل المؤمنين، أو أن أبتدع ضلالة أغير بها سُنن سيد المرسلين، إنه مجيب الدعاء.

الأخ في الله

هو أنت إلا أنه شخص آخر، لأنه يقصد ما تقصد ويتمنى ما تتمنى ويعتقد ما تعتقد ويعمل بعملك، ويقتدى بقولك وعملك وحالك، ذاق ذوقك وفهم عبارتك وأدرك إشارتك، يسعى فيما يرضيك ويحب من تحب، يصادق صديقك ويعادى عدوك، يحفظك غائباً ويسرك حاضراً، يُذكرك إن غفلت ويعينك إن ذكرت، يسارع في مرضيك عندما ترضى الله، ويتوقف عن العمل إن جهل حكم عملك، حتى يتبين له بدون جدل ولا انتقاد ولا اعتراض.

تجمل بكل خصالك، واتصف بجميع صفاتك، ودك بأكمل ما يود به نفسه، وتحمل الشدائد في جمع الكلمة، يجاهد نفسه ليتجمل بمكارم الأخلاق، يصل رحمك ويكرم أقاربك ويعطف على أولادك. هذا هو الأخ ولو كان بعيد النسب عنك.

الأخ هو أنت خُلُقاً واعتقاداً ومقصداً وعملاً وحالاً.

الأخ من بذل نفسه قبل نفسك وماله قبل مالك، وقدم أصدقاءك وأهلك وأولادك، على خاصته وأهله وأولاده. ليس الأخ بنسب الأبوين، إنما الأخ من ناسبك في خصوصياتك، وتشبه بك في جميع أحوالك، قرب منك بما جملك الله به فصار قريبك، وانتسب إليك بما تقربت به إلى الله تعالى فصار من نسبك. الأخ من لا تتكلف له ولا تخشى الشر منه، استوى عندك السر والعلن معه، وأنت عظيم في عينه وقلبه في كل أحوالك، من يُسر وعُسر وبعُد وقُرب، إن شددت يَسْرَ وإن يَسَّرت هابك، سروره أن تكون مسروراً، هذا هو الأخ ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ص ٢٤.

فهذا الأخ هو الوارث للأحوال والعلوم والأسرار، فإذا كان من أهل نسبك كان ذلك أجمل وأكمل، وذلك هو الفوز العظيم وإنما هى مشابهة توجب القرب بعد الحب، فالرقى إلى المقام بعد الحال فالوصول فالكمال.

أسأل الله أن يجعلنا بأخلاقه وأن يمنحنا عنايته، وأن يواجهنا بوجهه الجميل إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الآداب

لما كانت الآداب إما أن تكون آداباً في عبادات أو في معاملات، أو في تزكية النفوس وتطهيرها، أو في طريق الدعوة إلى الله وإرشاد عباده بالحكمة والموعظة الحسنة، أو آداب تعليم العلم وتلقيه، وغير ذلك من الآداب.

وكل نوع من تلك الأنواع له أحكام خاصة به. أما آداب العبادات والمعاملات فقد تقدم الكلام عليها في قسم الأحكام الشرعية من كتاب "أصول الوصول" مستوفاة، ولا بد لكل مريد من تحصيل الضرورى منها، وقد استوفينا آداب تزكية النفوس وتطهيرها في كتبنا، وآداب الأخوة وما يتعلق بذلك في كتاب "شراب الأرواح" وقسم علوم اليقين من كتاب "أصول الوصول" وعن بيان الطريقة المستقيمة في كتاب "معارج المقربين".

ونريد في هذه الرسالة أن نبين الآداب التى ينبغى أن يكون عليها المسلم لأخيه المسلم، والمتعلم للمعلم، وآداب الدعوة إلى الله، وما ينبغى أن يكون عليه العلماء في حال إقامة الحجة لله، ودفع الشبهة عن سنة رسول الله، ومحو البدع.

الآداب الواجبة على كل مسلم لأخيه

لما كانت الآداب الواجبة لا بد وأن تكون أوجبها الله تعالى، أو أوجبها رسوله ﷺ، وقد تتبعت الأحاديث الواردة في حقوق المسلم على المسلم، فظهر منها - مع كثرة روايتها وانفراد كل راوٍ بواجبات مخصوصة - أن جميع ما ورد عن رسول الله ﷺ في الحقوق الواجبة على كل مسلم لأخيه أربع عشرة خصلة، أما قولى: الواجبة على كل مسلم، فلما ورد في لفظ الأحاديث عن سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه: (للمسلم على المسلم ست خصال واجبة) وعن سيدنا أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (حق المسلم على المسلم ست خصال، إن ترك منها شيئاً ترك واجباً عليه) وحديث البراء عن عازب: (أمرنا رسول الله

وَأَجِبَاتٍ)، وحديث سيدنا سعد وسيدنا أبي هريرة في معنى ذلك.

وقد جمع تلك الخصال كلها بعد سرد الأحاديث كلها الإمام أبو طالب المكي في كتاب "قوت القلوب"، نبدأ أولاً بذكر عشر خصال ثم نذكر بعدها ما زاد عليها.

فأما الخصال العشرة التي كثرت الأخبار بها:

- | | | | |
|---|------------------------|----|--------------------------------|
| ١ | أن يسلم عليه إذا لقيه. | ٦ | ويبر قسمه إذا أقسم عليه. |
| ٢ | ويجيبه إذا دعاه. | ٧ | وينصح له إذا استنصحه. |
| ٣ | ويشتمه إذا عطس. | ٨ | ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه. |
| ٤ | ويعوده إذا مرض. | ٩ | ويجب له ما يجب لنفسه. |
| ٥ | ويشهد جنازته إن مات. | ١٠ | ويكره له ما يكره لنفسه. |

أما حديث أنس فروينا عن إسماعيل بن أبي زياد عن أبان بن عياش عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (أَرْبَعٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ: أَنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ وَأَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ، وَأَنْ تَدْعُوَ لِمُذْبِرِهِمْ، وَأَنْ تُحَبِّبَ تَائِبَهُمْ) فهذه الخصال داخلة في تلك الخصال وجامعة لها في معنى النصيحة لأخيك، وفي أن تحب له ما تحب لنفسك، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يؤكد هذا المعنى خاصة للمسلم على المسلم ويفرضه فرض الحلال والحرام، ويفسر به قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح ٢٩، يعنى متوادين بينهم، يدعو صالحهم لطالحهم. إذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه ونفعنا به، وإذا نظر الصالح إلى الطالح من أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له.

فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة في حرمة المسلمين، ووجب حق بعضهم على بعض، لا عذر لأحد منهم في تركها إلا من عذرته السنة ويشهد له العلم، وبعضها أوكد من بعض وأكمل المؤمنين إيماناً أقومهم بها وأسرعهم إليها. وفي الخبر عن رسول الله ﷺ: (مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ مَنَعَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ مَنَعَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

تسليم السالك

إن التسليم للمرشد هو تسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ، ملاحظاً أنك إنما تصحب رسول الله ﷺ في ذات المرشد، ومعنى ذلك إن كنت تجهل أنك تسمع منه وترى فيه الحق الصريح الجلي، الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، فتكون كأنك سمعت من رسول الله، ورأيت رسول الله ﷺ.

وفي هذا المعنى ما ورد عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله من قوله: من أنا؟ قالوا: أنت أبو يزيد، قال: أنا محمد رسول الله، يعنى لا تنظروا إلى بعين العصمة، ولكن انظروا إلى بعين البصيرة، فإن كنت على ما كان عليه رسول الله ﷺ فاصحبوني، وإن خالفت رسول الله ﷺ فقوموني، وهذا أساس الطريق، فإن الحق فوق الخلق، فاقبل الحق ولو من الغريب البعيد البغيض الدنيء، ولا تقبل الباطل ولو من التوى العالم الورع الزاهد.

وأهل السلوك يعرفون الرجال بالحق، ولا يعرفون الحق بالرجال. وما أفسد العقائد وأذهب الأنوار والأسرار إلا معرفة الحق بالرجال، فيقال: قال سيدى فلان، وقال سيدى فلان متى كان شهيراً، والحقيقة أن نعرف الرجال بالحق مهما كانت درجاتهم، وبذلك نكون أهلاً للحق ومحلاً له، وتكون صادقاً إذا قلت: إني في معية رسول الله. فإن الله تعالى أخبر أن أهل المعية رجال اتصفوا بصفات ذكرها في آخر الفتح، ولم يذكر أشخاصاً، فوسع لنا وهو الواسع العليم، ومن اتصف بتلك الصفات كان من أهل معية رسول الله ﷺ، ولو كان في زماننا هذه أو بعده.

بعض من لا بصيرة لهم في الدين ولم يسبق لهم تحصيل العلم، يقتدون ببعض أدياء الطريق، فيدخلون في قلوبهم أن التسليم للشيخ مهما كان وعلى أى حال كان خيراً، ولا يصل السالك إلى الله إلا بالتسليم للشيخ، ثم يعملون أمام المريدين صريح الحرام أو يقولون صريح الكفر، ويأمرون بترك الفرض والسنة، وينهون عن الأعمال الشرعية، فيسلم لهم أهل الجهالة تسليم الأعمى لا اعتقادهم أنهم أهل الحقيقة وأنهم ارتقوا عن الشريعة، ويضربون

مثلاً يدل على كمال جهالتهم فيقولون: إن كان شيخك حماراً أمسك ذيله، مبالغة في التسليم الأعمى، وكم من فئة من الناس استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله.

وقد أضل إبليس بهذا كثيراً من الخلق، ومن نظر إلى الفرق المشهورة في اليهود والنصارى وأسباب تفرقهم، لعلم أن الشيطان لعنه الله تعالى، هو الذى أفسد العقائد والأخلاق والآراء ليضل عباد الله، وقد أصبح المسلمون شيعاً وفاقاً لأن أكثرهم جهل طريق معرفة الرجال، فعرف الحق بالخلق، فكان الخلق أمامه هم الحجة على الحق، بعد أن كان الحق هو الحجة على الخلق، وأعنى بالحق هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

أنا لا أنكر أن لأهل السلوك الصادقين أحوالاً تدعوهم إلى ما لا يقبله العقل ولا يتحملة الشرع المعلوم للأمة، ولكن تلك الأحوال تدعو إلى ترك الأسباب، إلى الفرار من العمران، إلى اعتزال الخلق اجمعين، إلى خرق العادة من طبع السالك، إلى مخالفة المألوفات، إلى اعتزال الخلق والأنس بالحق، إلى الصولة بالحق على أهل الباطل مهما كانت مقاماتهم، إلى الصمت مرة واحدة، إلى القبض المستمر مع سلطان الرجاء.

وهذه أحوال الصادقين التى كان عليها أصحاب رسول الله ومن تبعهم بإحسان، ولكن تلك الأحوال لا تروق فى أعين أهل السوء، فليس للسالك أن يسلم بها مقلداً صاحبها وإن كانت هى خالص روح الشريعة خوفاً عليه من الرجوع بعد الإقدام، لأن تلك الأحوال العلية لا يقوى عليها إلا أهل التمكين ممن جذبتهم العناية، والتسليم لصاحبها شئ، وتقليده شئ آخر.

أما الأحوال الشيطانية التى منها ترك الأعمال الشرعية، والتعرض لأماكن الشبه، والتزبى بأزياء النساك، وعمل الحيل لجمع أموال الناس، والظهور أمامهم بما يجعلهم يعتقدون فيه ويعظمونه، مع ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله، لأنه شهر بين العامة أن أولياء الله تعالى كالإمام السيد أحمد البدوى رحمته الله، والإمام إبراهيم الدسوقي، والإمام السيد الرفاعى، والإمام السيد عبد القادر الجيلانى رضى الله عنهم جميعاً، كانت لهم أحوال لم ينالوها إلا بالاصطلام وترك السنة والكتاب، وهذا محض الكذب عليهم رضى الله عنهم،

لأنهم سلكوا طريق الله تعالى على أيدي الأئمة المرشدين العلماء الربانيين، حتى بلغوا من التمكين مبلغاً جعلهم لا يتنفسون نفساً إلا ويقومون بمقتضى الوقت فيه شكراً ورضاء وصبراً وقولاً وعملاً وحالاً، ومن أحب أن يعلم ذلك فليقرأ تراجمهم في مواضعها، ولجهل العامة بسير أولياء الله تعالى سمعوا من أخبارهم التي كان يكرمهم الله بها، وجهلوا سيرهم في بدايتهم وسلوكهم في نهايتهم.

وكيف يسلم السالك طالب النجاة من هول القيامة بصحبة من يهلكه بمخالفة سنة رسول الله ﷺ؟! وهذا ليس بتسليم، وإنما هو جهل بالحق، وحظ جلي لا خفى، ومن سبقت له الحسنى حفظه الله من بدايته لنهايته مما يخالف رسول الله ﷺ، وأيقظ قلبه للتوبة عند حصول الزلزل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١.

وللتسليم مقدار مخصوص إذا تجاوزه السالك وجب عليه أن لا يتبع أستاذاً، وهذا المقدار هو التسليم لرسول الله ﷺ، فإن خالف المرشد ما كان عليه رسول الله وقف عن الاقتداء به حتى يستبين له الحق فيه، أو يسأله عن مأخذه من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله، قال الله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ القيامة ١٤، والعاقل لا يقلد إلا من بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً، مبيناً لنا محاب الله ومراضيه، والمرشد يبين لنا ما خفى علينا من بيان رسول الله ﷺ، وما كان عليه الأئمة الهداة من الصحابة والتابعين. ومسلم يقلد تسليم الأعمى لغير رسول الله ﷺ ولغير العلماء أهل الخشية من الله، لا يكون إنساناً بل ولا مسلماً، والله يحفظ أمة محمد ﷺ من دعاة الجهالة الناسين يوم الحساب، آمين.



الباب الرابع مراتب الرجال

أولاً الإمام المجدد

الإمام الممنوح المجتهد، الملمه فقه الكتاب والسنة في كل زمان بحسبه.

وهو المرشد الكامل الذى يقيمه الله تعالى في كل زمان احتاج المسلمون فيه إلى البيان، وهو الفرد الكامل الذى لا تخلو الأرض منه ليقوم لله بالحجة، ويسمى عند آل العزائم "الإمام المجدد" العالم العابد.

هو مستنبط الطريق وصاحبه، وله السمع والطاعة من مرديه مادام عاملاً بالكتاب والسنة، سالكاً على مناهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابع التابعين، وإليه في حياته ترجع أمور الدين، وبه في حياته يكون الاقتداء والتقليد، ما لم يخالف في قول أو عمل أو حال صريح السنة.

ثانياً شيخ الطريق

شيخ الطريق هو الذى يقوم مقام الإمام بعد وفاته، وهنا يجب لإقامته شروط تستوفى حتى يمثل الإمام من كل أنحاء كمالاته.

أخص صفاته

- ١ أن يكون أكمل الناس أدباً لله ولرسوله ولإمام الطريق، فإن الطريق كله أدب.
- ٢ أن يكون أكمل الناس شبهاً بالإمام في العلم بقدر ما يجب للسالك، فإن زاد فخير عميم، وإلا بأن لم يزد عن قدر تربية السالك فإن همة السالك وإرادته تبلغه المقصد، بدليل قوله ﷺ: (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَرَثَهُ اللهُ تَعَالَى عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)
- ٣ أن يكون أبر الناس بوالديه، وأوصل الناس لرحمه، وأرحم الناس بذوى قرابته،

حتى يؤمن على البر والرحمة والصلة بالسالكين، فإن من فقد البر والصلة والرحمة التي أوجبها الله عليه، كيف يتجمل بها في النوافل!

٤ العفاف والوفاء والعدالة والشجاعة والكرم، كل ذلك في الله تعالى.

ومن الآداب مع الإمام أن ينتخب المریدون أكبر أولاد الإمام شيخاً للطريق بعده ثم الأصغر فالأصغر حتى ينتهي أبناء الإمام، فينتخب من أفراد الأسرة المتصف بكل تلك المعاني، المتصل بروحانية رسول الله ﷺ، حتى يحصل المدد المقصود من السلوك.

ثالثاً نائب الطريق

هو السالك الذي حصل علوم الشريعة والحقيقة والطريقة، وأقامه الشيخ مقامه في غيبته، أو أقامه في حضوره في عمل خاص، وهو أشبه بالشيخ في جميع صفاته.

رابعاً خليفة الخلفاء

هو القائم مقام الشيخ في تلقين الطريق والأوراد والأسماء وافتتاح مجالس الذكر، فإذا جمع الله له الأدب وعلم التربية وعلوم الظاهر، تعين عليه القيام بالعلم والعمل للمريدين، وإن لم يتوسع في علوم الشريعة، لزم أن يكون له أخ عالم يُعلم المريدين كتب الإمام في الشريعة والطريقة والحقيقة كل بقدر استعداده، ويكون الأخ المعلم مطيعاً لخليفة الخلفاء فيما هو خير.

خامساً الخليفة

هذا الخليفة يقوم مقام خليفة الخلفاء في غيبته، وفي حضوره بما يؤذن به أو يرتب عليه.

سادساً نقيب النقباء

هو من يعينه الإمام أو النائب عنه في مدينة من المدن، أو في دار المشيخة والزوايا، وعليه وظائف أخرى هي خدمة مجالس العلم والذكر، ورعاية الأخوان خدمة وصلحاً وإصلاحاً،

وخدمة الزاوية والأماكن الخاصة للذكر والمذاكرة.

سابعاً النقيب

هو من يقوم مقام نقيب النقباء في غيبته، وعليه وظائف أخرى في خدمة الزاوية والإخوان، والسؤال عنهم إذا غابوا، ودعوتهم إلى المجتمعات، ويلزم أن يكونوا ثلاثة نقباء أو أكثر عند اللزوم.

أهل الجمع والفناء

أولاً الإمام

وقد تقدم الكلام عليه.

ثانياً البدل

وهو الذى تلقى علوم الشريعة والحقيقة، وعمل بما علم، فورثه الله علم ما لم يكن يعلم، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة ٢٢.

وهم ثلاثة أنواع

أبدال الرسل وأبدال الصديقين وأبدال الروحانيين.

١ أبدال الرسل وهم الذين ألهمهم الله غوامض أسرار الحكمة، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اقتربوا من أفواه العباد فإنهم تجلى لهم حقائق صادقة)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩.

٢ أبدال الصديقين هم أصحاب ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٣ الأبدال الروحانيون هم الذين اختطفتهم يد العناية، وصاغ الله نفوسهم من نور جماله، والأولى أن لا يصحبهم إلا أهل العلم لعلو إشاراتهم.

ثالثاً الأوتاد

وهم الراسخون في العلم، أهل الحفظ والسكينة واليقين الحق.

رابعاً الأنجاب

وهم أهل الأحوال الصادقة التي هي برهان على صدق دعواهم، وهم خدام الطريق والإخوان، والدعاة بالقول والعمل والحال إلى الخير.

الرجال خمسة

* إمام * بدل * نجيب * نقيب * وتد

أولاً الإمام

الإمام مطوى سره مجهول مقامه خفيّ حاله، وغاية ما يعرف منه أنه الفرد الوارث لأسرار النبوة وعلوم الرسالة، العالم الرباني والإنسان الروحاني الراسخ في العلم، لا يظهر سره ولا يعلم حاله إلا لأهل الصفوة، الذين جعل لهم الله نوراً، وقد أشرت إلى صفاته الظاهرة في " المكنون "، والسعيد من وفقه الله لمعرفته وتلقى علومه عنه، ولا يخلو زمان من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو باطناً مغموراً، حتى لا تبطل حُجج الله وبيناته، والإمام هو الذي وهبه الله الحكمة والفقّه في دينه ولسان العبارة، وهو الحُجّة لله والنجم الذي يهتدى به المؤمنون.

ثانياً البدل

البدل إما أن يكون خزانة علم الأحكام الشرعية، وهو أعلم أهل عصره بأحكام الشريعة الذي يرجع إليه العلماء، فيكون بدلاً من أبدال الأئمة، أو خزانة علم بالله وبأيام الله وبأمراض النفوس وتزكيتها، وهو يكون أعلم أهل زمانه بطريق الله وسير السلف الصالح وأحوال أهل اليقين، ويكون مرجع السالكين، ويسمى البدل الروحاني، لأنه يظهر النفوس من رعوناتها ولقسها، ويعين على المحافظة على الواجبات والنوافل.

والبديل صورة الإمام المرشد، أعماله التأثير على الإخوان بالأعمال الموافقة للشرع، وأحواله التي تعلق بها هم النفوس عن الميل إلى الفانيات بالمسارعة إلى ما به نوال السعادة الباقية، والعبارات المشوقة للنفوس إلى محبة الله تعالى، والرغبة في الخير الحقيقي الأبدى، والفرار مما يوجب غضبه. فعمله إصلاح الناس والصلح بينهم، وتأليف النافرين والكافرين لتميل قلوبهم إلى الحق فيتبعوا سبيله، وهو صاحب وقت والإمام صاحب نفس، والنجيب صاحب حال والنقيب صاحب عمل والتودد مأمور، كل هذا في دائرة التصريف.

أما في دائرة التعريف فالوئد بعد بدل الرُّسل مباشرة، لأنه متمكن في مقامه، متلون في حاله.

ثالثاً النجيب

من المقرر أنه لا بد أن يكون لكل جماعة في بلد أو قرية أو مدينة أخ مقدم عليهم يلاحظ أن يكون:

١ عالماً بالسنة حتى يردهم إليها إن سهوا أو خالفوا.

٢ عالماً بأسرار الطريق ليبين لهم مقامات السير والسلوك، وطرق تزكية النفوس وحقيقة الآداب، وهما الأصلان العظيمان اللذان بهما يقدم الأخ، فإن جملة الله بعدها بشرف النسب وبالوسعة في الرزق وبالجاه بين الخلق فهو النجيب، وله أخ متصف بتلك الصفات إلا أنه أقل منه فيها يسمى النقيب.

وقد يقوم النجيب مقام البديل إذا أنس من نفسه نجاح العمل في الصلح والإصلاح، وإلا لزم رتبته، وحافظ على الإخوان من التفرقة إن حصل خلاف لا يزيله إلا البديل، وسعى بين الإخوان بما يوجب الصفاء والألفة.

رابعاً النقيب

أعمال النقيب خدمة النجيب والإخوان، وقضاء لوازمهم وقت المذاكرة والأذكار والرواتب، وإعداد ما يلزم لذلك، وينوب عن النجيب عند غيابه، ويلزم أن يكون النقيب حسن الأخلاق هيناً ليناً جميل المجالسة بشوش الوجه حسن الإجابة حتى يألفه الإخوان، ويكون متحملاً جفوتهم وشديد عبارتهم، يحسن إلى مسيئهم، ويلين عند قسوتهم، ويقدمهم على نفسه، خصوصاً عند الاجتماع لطعام أو فاكهة، فإن النقيب هو الباب للمستجدين، وبقدر جمال أخلاقه يكون تهذيب نفوسهم وتركيتها، إلا أنه لا يغفل عن تنبيههم بلطف ورقة على ترك ما يُشين وعمل ما يزين.

والنقيب يلزم أن يكون يحب إخوانه جميعاً كمحبته لنفسه، وأن يكون زاهداً، فإذا قدم أحد إخوانه له هدية أو تحفة مما يأكله الواحد أو ينتفع به الواحد انتفع به، وإلا قدمه لمصلحة الإخوان بأن يضعه في الزاوية أو في بيت النجيب أو البديل - إذا كان محلاً جامعاً للإخوان - أو قسمه بين إخوانه إن كان مما يستعمل في الحال، مُلاحظاً في ذلك مراقبة الله في الغيب والشهود، وحباً لإدخال السرور على إخوانه، ولتطمئن قلوب الإخوان العاكفين على طاعة الله، الذين تركوا الأسباب توكلاً على مسبب الأسباب. وللنقيب رواتب من الصلوات الليلية والنهارية والأذكار اللسانية والقلبية وقراءة القرآن أكثر من رواتب الإخوان، يوظفها عليه الشيخ، أو يلازمها هو وجداً.

خامساً الوتد

الوتد هو الأخ الذى بلغ من درجة التهذيب والحب إلى أن رأى نفسه أقل من جميع إخوانه، وصغرت نفسه في عينه، حتى صار يتولى الأعمال المحترقة، كخدمة النعال ونقل الماء للإخوان وحمل الطعام لهم وخدمتهم في الأكل والشرب والوضوء والكنس والرش وإرساله بين الإخوان لقضاء المصالح، ولإعلانهم لما يلزم، ولا يكون وتدّاً حقيقياً إلا إذا استوى في عينه الشريف والغنى من الإخوان، والفقير الدنى والجاهل منهم، وقضاء مصلحة الجميع،

فإنه قد يتكامل في مقامه هذا وهو وتد إلى أن يُجَمَلَ بِحَلَلِ الأبدال، لأنه يستمد من كل أخ من الإخوان بمدد خاص، فيكون مُمدّاً من الجميع، والأقطاب أصلهم أوتاد. والوتد لا يشعر بوجوده لصغره في عينه، ولا تسمع منه في ليله ونهاره بعد قضاء رواتبه إلا: لبيك لبيك. لمن طلبه، وقد يبلغ درجة يكون له فيها الجاه العظيم عند الله، وعندها يسأله الناس أن يدعو لهم فيجيب الله دعاءه.

النظام الداخلي للسالكين

تقدم في هذا الدستور آداب السالكين والواصلين والتمكنين، ودواء وشفاء ما يلم بأنفسهم من الطبع أو النفس أو الحظ أو الهوى، أو وساوس الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وهنا أخاطب الإخوان جميعاً

الأدب الأول

أولاً تعلمون إخواني أيدنا الله وإياكم بروح منه أن العصمة لرسول الله ﷺ، وأن المؤمن بأخيه المؤمن أولى، وإننا على يقين من أن كل واحد منا إذا مرض منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فينتهك الجسد متألماً لمرض العضو حتى تعود له الصحة، ومرض الأبدان ناتج من عدم رعاية الصحة، وكذلك مرض النفوس والعقول ناتج من مخالفة الشريعة، ولا يكون ذلك إلا من وسوسة شيطان الجن أو الإنس، فالإخوان إذا رأوا أخاً لهم خالف أدباً من آداب الطريق بأن تساهل في الرواتب، أو أنكر على أخ، أو بخل بعافيته أو ماله في عمل القربات، نعتقد أن ذلك من الشيطان فنجتهد جميعاً أن نقتل هذا الشيطان بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت ٣٤.



الأدب الثاني

يلزم عند قتل شيطان الأخ أن نترك الكلام لنائب الطريق، أو لمن يقوم مقامه من الخلفاء والنقباء عند غيابه، إلا أن يأذن لواحد من الإخوان لثقتة بحسن أسلوبه، ولكن الواجب على الإخوان أن يتجملوا أمام الأخ المريض بما يشرح صدره.

الأدب الثالث

إذا شفا الله الأخ مما ألم به من وسوسة شيطان الجن أو الإنس، وجب على النائب أو من يقوم مقامه أن يكلفه بصيام أيام لا تتجاوز ثلاثة أيام، أو بخدمة الزاوية أياماً كذلك، أو يلقنه التوبة بصيغتها المعلومة، والأولى أن يكون بهذا اللفظ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

الأدب الرابع

إذا قوى شيطان الأخ عليه فلم تؤثر فيه تلك الآداب، فالواجب هجره في الزاوية، وغض النظر عنه أياماً من غير أن يعرض به أحد من الإخوان، ولا يتكلم معه إلا لضرورة فادحة إهمالاً له بنية قتل شيطانه، وإعادة الصحة الروحانية إليه.

الأدب الخامس

إذا لم تعد له الصحة الروحانية كما كانت، فالواجب على نائب الطريق أن يخلو به ويوعظه موعظة حاسمة من نوع هذا الأسلوب، لأن السالكين إنما اجتمعوا في الزاوية ليمثلوا ما كان عليه الصحابة والتابعون، عملاً بقوله ﷺ في الحديث القدسي عن الله تعالى، يقول سبحانه: (المتحابون في والمتزاورون في والمتجالسون في والمتبازلون في على منابر من نور يوم القيامة قدام عرش الرحمن يغبطهم الملائكة والأنبياء والشهداء لقربهم من الله).

وإني أحب أن تستعيد بالله من فتح باب الخلاف بين المتحابين في الله وما أشبه ذلك، فإن

أكرمه الله وقبل كلفه بما يقيم الحجة على صفائه وقبوله، وإن أبقى تلتطف معه وطلب منه أن يمتنع عن الزاوية سبعة أيام، فإن أراد الله به خيراً أرجعه محفوظاً من الشيطان، أو حفظ الله الإخوان منه، إلا أنى أحب من الإخوان أن يبدأوه بالسلام، وإذا تكلم معهم أن يتلطفوا في الإجابة نجاتاً لأخيهم.



قال رضي الله عنه في مقام المجاهدة

جَاهِدْ نَفْسًا فِيكَ بِالشَّرْعِ الْأَمِينِ
 غُلٌّ وَكَيْدٌ مِنْ حَسُودِ مَا كَرِهَ
 هَذَا اللَّعِينُ بِهِ الْهَلَاكُ فَخَلَّهُ
 وَالنَّفْسُ شَهْوَةٌ مَطْعَمٌ أَوْ مَشْرَبٌ
 إِلَّا الضَّرُورَةَ فَالِإِبَاحَةَ إِنْ دَعَتْ
 وَالنَّفْسُ إِنْ تَدْعُو مِسَاسًا فَاخْذَرْنَ
 جُعٌ أضعفنها وَاخْذَرْنَ مِنْ غِيَّهَا
 وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ الرِّيَاسَةِ فَاخْذَرْنَ
 وَادْخُلْ حُصُونَ الشَّرْعِ قَلْبًا قَالِبًا
 تِلْكَ النَّفْسُ قَوِيَّةٌ فِي فِعْلِهَا
 الشَّرْعُ عِضْمَةٌ سَالِكٌ يَهْدِي إِلَى
 فِي الشَّيْبِ جَاهِدْ كَالشَّبَابِ وَحَافِظُنْ
 وَالْجَأُ إِلَى مَوْلَاكَ مُعْتَصِمًا بِهِ
 مَوْلَايَ إِنِّي عَاجِزٌ عَنْ كَبْحِهَا
 هَبْ لِي اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ وَاجْذِبْ إِلَى
 وَاقْبَلْ مَتَابَ الْعَبْدِ وَامْنَحْنِي الرِّضَا

وَاحْذَرِ قُوَى الشَّيْطَانِ فِي الْقَلْبِ كَمِينِ
 ظَلَمُ الْعِبَادِ بِنِيَّةٍ فِي كُلِّ حِينِ
 أَسْرِعْ إِلَى الْقُرْآنِ فِي الرُّكْنِ الْمَتِينِ
 أَوْ مَلْبَسٍ فَاخْذَرِ بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينِ
 فِيهَا الضَّرُورَةُ فَاطْلُبْنَهَا مِنْ مُعِينِ
 إِلَّا الْحَلَالَ فَإِنَّهُ الْمَاءُ الْمَعِينِ
 غَضَّ الْجُفُونَ وَحَازِرْنَ فَتَكَ الْكَمِينِ
 فِرْعَوْنَهَا تَنْجُو مِنَ الدَّاءِ الدَّفِينِ
 تَحْيَا سَعِيدًا فِي شُهُودِ الْمُتَّقِينِ
 قَدْ تَحَجَّبُ الْأَفْرَادَ كَمْ أُرِدْتُ سَجِينِ
 دَارِ الصَّفَا رِضْوَانِ رَبِّ الْعَالَمِينِ
 فَالْنَّفْسُ شَيْطَانٌ يُبِيدُ السَّالِكِينَ
 مُسْتَشْفِعًا بِالْأَنْبِيَا وَالْمُرْسَلِينَ
 هَبْ لِي اعْتِصَامًا مِنْكَ بِالشَّرْعِ الْأَمِينِ
 رَوْضِ الشُّهُودِ الْعَبْدَ بِالْعَزْمِ الْمَكِينِ
 وَالْفَضْلَ وَالْغُفْرَانَ مِنْ فَضْلِ الْمَتِينِ

قال رضي الله عنه في مقام التوبة

أَتُوبُ لِأَنِّي مِنْ هَوَاءٍ وَمِنْ نَّارٍ
 وَتِلْكَ الْعَنَاصِرُ تَقْتَضِي الظُّلْمَ وَالْجَفَا
 أَتُوبُ لِأَنَّ الطَّبْعَ وَالنَّفْسَ وَالْهَوَى
 يُوَفِّقُنِي رَبِّي أَتُوبُ مُجَاهِدًا
 وَهَا أَنَا خَطَاءٌ أَعْنَى بِرَحْمَةٍ

مِنَ الْمَاءِ بَدَأَ طِينَةَ الْفَخَّارِ
 وَسُوءِ الْمَقَاصِدِ شِيْمَةَ الْغَدَّارِ
 تَفَارِقُ أَهْلَ الصَّفْوَةِ الْأَخْيَارِ
 وَأَمَّارَتِي بِالسُّوءِ تَنَأَى إِلَى الْعَارِ
 أَيَارِبٌ وَامْنَحْنِي صَفَا الْأَسْرَارِ

بِمَا أَنْتَ تَرْضَاهُ اغْفِرَنَّ أَوْزَارِي
 إِلَيْكَ وَوَاجِهْنِي بِرَفْعَةِ مِقْدَارِي
 يَلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالْأَشْرَارِ
 أَنْلِنِي الرِّضَا وَالْفَضْلَ بِالْمِذْرَارِ
 عَلَيْكَ بِحُضْنِ الْأَمْنِ فِي إِثْرَارِ
 إِلَى الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ مِنْ سَتَّارِ
 إِلَيْكَ التَّجَائِي فِي غُدُوِي وَإِسْحَارِي
 تَوَسَّلْتُ بِالْمُخْتَارِ وَالْأَنْصَارِ
 لَقَدْ وَضَّحُوا الْمِنْهَاجَ لِلْأُبْرَارِ
 وَكُلُّ فَتَى سَاعٍ إِلَى رَبِّهِ سَارِ
 بِإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ وَنَشْرِ مَنَارِ
 وَقَلْبِي فَعَمَّرَهُ بِنُورِ الْبَارِي
 بِصَدَقِ إِلَى اللَّهِ الْقَرِيبِ فِرَارِي
 وَعَلَّمْنِي التَّوْحِيدَ كَشْفًا بِإِسْفَارِ
 تَمُنُّ بِهَا لِلْعَاجِزِ الْمُحْتَارِ
 لِرُوحِي فِي لَيْلِي وَطُولِ نَهَارِي
 بِعَبْدِكَ عِلْمًا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ
 وَمَقْعَدِ صِدْقٍ فَاجْعَلْنَهُ قَرَارِي
 أَنْتَى لِلْهُدَى وَالنُّورِ عُقْبَى الدَّارِ

أَقْمِنِي مَحْبُوبًا لِدَاتِكَ عَامِلًا
 وَبِالرُّوحِ أَيْدِي وَبِالنُّورِ فَاهِدِنِي
 عَجَزْتُ عَنِ التَّدْبِيرِ عَنْ دَفْعِ كُلِّ مَا
 فَدَبِّرْ إلهِي عَاجِزًا بِعِنَايَةِ
 وَطَهِّرْ جَمِيعَ جَوَارِحِي أَقْبِلْنِي بِهَا
 لِأُمْنَحَ خَيْرَ الْمُضْرَتَيْنِ
 أَيَارَبُ إِنِّي بَعْدَ عَجْزِي وَفَاقْتِي
 فَكَيْرٌ كَثِيرٌ أَسْرَتِي وَسَّعَ الْعَطَا
 وَبِالْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ مَنْ
 وَمَنْ تَابَعُوهُمْ مِنْ كِرَامِ أُمَّةٍ
 أَعْنِي عَلَى إِحْيَاءِ شَرَعِ مُحَمَّدٍ
 وَجَمَلِ إلهِي ظَاهِرِي بِاتِّبَاعِهِ
 أَيَارَبُ وَاجْذِبْنِي إِلَيْكَ مُجَمَّلًا
 أَيَارَبُ وَاجْعَلْنِي بِعِلْمِي عَامِلًا
 وَسَخِّرْ لِي كُلَّ الْعَالَمِ مِنَّةً
 أَيَارَبُ أَنْسُنِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقًا
 أَيَارَبُ وَأَنْفَعْنِي بِفَضْلِكَ وَأَنْفَعَنْ
 أُمْتِنِي عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْفَضْلِ وَالرِّضَا
 وَسَيَّلْتَنِي الْقُرْآنَ وَالْمِصْطَفَى الَّذِي

منظومة السير والسلوك وضوابطها

فَوْقَ الصِّرَاطِ بِصِحَّةِ الْآدَابِ
 لِلْحَقِّ لَا لِظَوَاهِرِ الْأَسْبَابِ
 عَيْنِ الْيَقِينِ بِصُحْبَةِ الْأَحْبَابِ
 حِلٌّ وَتَرْحَالٍ حُضُورِ غِيَابِ

السَّيْرُ سَيْرُ السَّالِكِ الْأَوَابِ
 فِي الرُّوضِ حِضْنِ الشَّرْعِ يَسْلُكُ نَاطِرًا
 حَتَّى يُشَاهِدَ مَشْهَدَ التَّوْحِيدِ فِي
 بَدْءِ الطَّرِيقِ رِعَايَةَ لِلْغَيْبِ فِي

يُعْطَى الْوَلَايَةَ بَعْدَ رَشْفِ شَرَابِ
فَيْرَى جَمَالَ الْوَجْهِ فِي الْمِحْرَابِ
بِالنَّفْسِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَلْبَابِ
مِنْ غَفْلَةٍ سَهُوٍ وَظِلِّ حِجَابِ
حَظٌّ وَأَمَالٌ بِنَصِّ كِتَابِ
يَنْجُو مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ مُرْتَابِ
إِحْيَاءٍ لَيْلٍ فَوْقَ سَطْحِ تُرَابِ
تَرْجُوهُ غُفْرَانًا وَخَيْرَ مَأْبِ
وَالصَّمْتُ رَفْرَفَ حَضْرَةِ التَّوَابِ
وَالْخَوْفُ حِصْنُ الْأَمْنِ خَيْرُ جَوَابِ
فَامْرَجْهُمَا تَرْقَى إِلَى الْأَصْحَابِ
وَالْقَلْبَ طَهَّرَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ
تُعْطَى مَقَامَ الْحُبِّ فِي التَّرْحَابِ
نُورَ الْوَلِيِّ تَرَى ضِيَا الْوَهَّابِ
أَعْضَاءَكَ احْفَظْهَا مَعَ الْآدَابِ
تَابِعْهُ تُعْطَى ثُمَّ خَيْرَ مَتَابِ
وَتَفُوزُ بِالْحُسْنَى بِنَصِّ كِتَابِ

يُسْقَى مُدَامَةً غَيْبِ قُرْآنِ الْهُدَى
يَفْنَى فَيَشْهَدُ آيَهُ فِي خَلْقِهِ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُرَاقِبُ الْغَيْبَ الْعَلِيِّ
وَتَجَرُّدٍ مِنْ فِطْرَةٍ مِنْ فِتْنَةٍ
إِنَّ الطَّرِيقَ مَرَّاحِلٌ هِيَ شَهْوَةٌ
فَوْقَ الرِّوَاكِ هِمَّةٌ عِلْمٌ بِهِ
صَبْرٌ وَإِقْبَالٌ بِصِدْقِ عَزِيمَةٍ
تَفْرِيدُ رَبِّكَ بِالْعِبَادَةِ مُخْلِصًا
وَالصَّمْتُ مِعْرَاجٌ وَجُوعٌ طَهْرَةٌ
وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوَلَايَةِ حُجَّةٌ
أَمَّا الرَّجَا فَهُوَ الْمِرْزَاجُ لِوَاوِلِ
هَذَا الطَّرِيقِ بِهِ الْوُصُولُ لِرَبَّنَا
أَشْهَدُ يَدَ الْمُعْطَى تَفُزُ بِالْاجْتِبَا
عَمْرٌ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبَكَ تَشْهَدُنْ
ادْخُلْ حُصُونَ الشَّرْعِ مُعْتَصِمًا بِهَا
لَا تَضْطَفِي إِلَّا الْحَبِيبَ مُحَمَّدًا
بِالِاتِّبَاعِ يُحِبُّكَ اللَّهُ الْعَلِي



الفهرس

٥ مقدمة

الباب الأول

٧ في كرامة الأولياء والاعتصام بالكتاب والسنة

٧ كرامة الأولياء

٨ الاعتصام بالكتاب والسنة

٩ الأحاديث الواردة في الاعتصام بالكتاب والسنة

٩ الطريق إلى الله تعالى

١٠ المقدمات والضوابط

١٠ المقدمة الأولى

١٠ المقدمة الثانية

١١ الضوابط

١٣ تعاريف أولية

١٣ الشريعة

١٣ الطريقة

١٣ الحقيقة

١٤ الجمع بين الشريعة والحقيقة

الباب الثاني

١٦ في الطريق وما يناله السالك، وأدب صحبة المرشد، وأخذ العهد على المرید

١٦ احتياج المسلم إلى الطريق

١٧ ما يناله السالك بانتسابه للطريق

١٨ ما ينبغي للمنتسب أن يتشبه فيه بمرشده

١٨ ما لا ينبغي للمريد أن يقلد فيه المرشد

١٩	آداب في الاقتداء
٢٠	آداب الصحبة للمرشد
٢١	آداب صحبته
٢٣	صورة المبايعه التي يعبر عنها أهل الطريق بأخذ العهد على المرید
٢٤	مأخذ التلقين في الطريق
٢٦	الجمل التي تلقن

الباب الثالث

٢٩	أنس آل العزائم
٢٩	الأحوال
٢٩	الحال
٣٠	تميز الأحوال
٣٠	مدعى الحال له ثلاث صفات
٣٠	الصفة الأولى الحال الرباني
٣٠	الصفة الثانية الحال الطبيعي
٣٠	الصفة الثالثة الحال الشيطاني
٣١	الإخوان
٣٣	الأخ في الله
٣٤	الآداب
٣٤	الآداب الواجبة على كل مسلم لأخيه
٣٥	الحصال العشرة التي كثرت الأخبار بها
٣٦	تسليم السالك

الباب الرابع

٣٩	مراتب الرجال
٣٩	أولاً: الإمام المُجدد

٣٩	ثانياً: شيخ الطريق
٣٩	أخص صفاته
٣٩	ثالثاً: نائب الطريق
٤٠	رابعاً: خليفة الخلفاء
٤٠	خامساً: الخليفة
٤٠	سادساً: نقيب النقباء
٤١	سابعاً: النقيب
٤١	أهل الجمع والفناء
٤١	أولاً: الإمام
٤١	ثانياً: البديل
٤٢	ثالثاً: الأوتاد
٤٢	رابعاً: الأنجاب
٤٢	الرجال خمسة
٤٢	أولاً: الإمام
٤٢	ثانياً: البديل
٤٣	ثالثاً: النجيب
٤٤	رابعاً: النقيب
٤٤	خامساً: الوتد
٤٥	النظام الداخلي للسالكين
٤٥	الأدب الأول
٤٦	الأدب الثاني
٤٦	الأدب الثالث
٤٦	الأدب الرابع
٤٦	الأدب الخامس

٤٨	قصيدة في المجاهدة
٤٨	قصيدة في مقام التوبة
٤٩	منظومة السير والسلوك وضوابطها
٥١	الفهرس

